بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، المجلد الثانى ١٩٤٤

دكتور بِرُّون (Dr. Perron)

والشيخان

محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى

جمال الدين الشيال



القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

صورة من الاتصال العلمي بين الشرق والغرب فى عصر محمد على :

دكتور برون (Dr. Perron)

والشيخان

محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى

تقدمة :

آمن محمد على باشا ، منذ تولى عرش مصر بإرادة الشعب ، أنه لا يستطيع أن يرقى بهذا البلد إلا إذا نقل الحضارة الأوروبية إلى مصر ، أو بمعنى أصح ، إلا إذا ترجم الحضارة الأوروبية ؛ وقد استعان فى أول أمره بجماعة من الإيطاليين ، وأرسل بعثاته الأولى إلى إيطاليا ؛ ثم لم يلبث أن تحول عن إيطاليا والإيطاليين إلى فرنسا والفرنسيين[1] ، وكان أول مظهر من مظاهر هذا التحول استعانته بالكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى فيما بعد) لتدريب ضباط جيشه الجديد .

وبعد تكوين هذا الجيش الجديد رأى أنه فى حاجة إلى أطباء أوروبيين للإشراف على صحة ضباطه وجنوده ، فكلف التاجر الفرنسى تورنو (Tourneau) فى سنة ١٨٢٥ (١٢٤١ هـ) أن يرحل إلى فرنسا ويتعاقد مع أحد الأطباء الفرنسيين ؛ فسافر « تورنو » واتصل بالدكتور « انطوان برتلمى كلوت

(١) فصلت الحديث عن هذا التحول وتطوره وأسبابه فى بحث لى لم ينشر عن « تاريخ الترجمة فى عصر محمد على » .

« وكتب معه شروطا تقضى Antoin Barthélmy Clot » في « مرسيليا » ، بحريته فى العمل ، وأن يتبع ديانته المسيحية ، وعدم إجباره على السير مع الجيش . . . الخ . . . الخ »[١] ؛ وحضر كلوت إلى مصر فى نفس السنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) وعين « جراح باشى » الجيش المصرى .

ولم يلبث كلوت أن أخلص لعمله الجديد ، ووهبه كل وقته وتفكيره ، فأنشأ المستشفيات العسكرية ، ومصلحة الصحة البحرية ؛ وفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧ م) أنشئت مدرسة الطب المصرية[٢] تنفيذاً لرغبته ، وجعل مقرها فى أبى زعبل لتكون قريبة من معسكرات الجند .

وتخير الدكتور « كلوت » نخبة من أطباء وعلماء أوربا الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الجديدة ، وكان من بينهم « الأستاذ برُّون الكيماوى المعروف من مدرسة باريس »[٣] لتدريس مادتى الطبيعة والكيمياء .

وكانت الصعوبة الكبرى التى اعترضت طريق «كلوت» هى جهل الأساتذة باللغة العربية ، وجهل التلاميذباللغات الأجنبية عامة ؛ ولكنه بذل جهودا جبارة للتغلب على هذه العقبة ، بدأت بأن يترجم المترجمون عن الأساتذة مايقولون ، وانتهت بترجمة الدروس التى تلقى ، والمراجع الطبية المختلفة ، وطبعها فى مطبعة بولاق ، ثم توزيعها على طلبة المدرسة .

غير أن أستاذا واحدا استطاع — كما يبدو — أن يذلل هذه العقبة وحده ،

---

(١) تاريخ كلوت بك ص ١٠ ، ترجمة محمد لبيب البتانونى أحد خريجى مدرسة الألسن بإشارة الدكتور محمد بك الدرى ، القاهرة ، المطبعة الطبية الدرية بحارة السقايين سنة ١٣٠٨ .

(٢) انظر جهوده وترجمة حياته بالتفصيل فى المرجع السابق ص ٦ — ١٥ ؛ كلوت بك لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، ج ٢ ص ٥٩٣ وما بعدها ؛ عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص : ٣٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ — ١٥٩ ، ٢٥١ الخ . الخ .

(٣) كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

فاستعان ببعض الألفاظ العربية — ولا شك — عند شرح دروسه ، ثم استعان أول الأمر بأحد مترجمي المدرسة ليترجم له محاضراته فى علم الطبيعة ، ولكنه بعد سنوات قضاها فى الدرس والبحث ، والاتصال ببعض المحررين والمصححين من شيوخ الأزهر استطاع أن يترجم بنفسه محاضراته فى الكيمياء .

ذلك الأستاذ المستشرق هو الطبيب « الكيماوى » الدكتور «برُّون» ، وهو الوحيد من بين جميع الأساتذة الأجانب فى مدارس محمد على المختلفة الذى كان يعرف اللغة العربية ، ويعنى بالبحث فى كتبها ، والترجمة عنها وإليها .

دكتور برُّون Dr. Perron :

كان «برُّون» عالماً بحاثة بكل ما تحمل هاتان الكلمتان من معنى ، فلم يكتف بعمله التعليمى الوظيفى فيغمض عينيه عن الحياة التى تحيط به ، وهى حياة جد جديدة ، فى بلد غريب ، وبين أناس يختلفون عن عشيرته من الفرنسيين الاختلاف كله : فى الدين ، والأخلاق ، والعادات ، والملابس ، والثقافة ... الخ ولكنه وهب وقته كله للبحث العلمى ، ولنوع خاص من هذا البحث العلمى : هو الحياة الثقافية ـ قديمها وحديثها ـ فى الشرق عامة ، وفى مصر خاصة ، فشارك فى حركة الترجمة والنشر التى نشطت وقتذاك فى مصر ، وكانت له جهود جليلة فى الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ، وعن الفرنسية إلى العربية ، وكانت له نظرات ناقدة نافذة ـ رغم مرارتها ـ إلى صميم الحياتين الثقافية والسياسية فى مصر حينذاك ، ولهذه النظرات قيمة عظيمة جداً لأنها صادرة عن أجنبى يدرك العيب الذى لا يدركه صاحب البيت ، وعن عالم يستطيع التحليل والمقارنة ، ويجيد الشرح والوصف ، وإدراك الأسباب والمسببات .

وقد سجل « برُّون » هذه الملاحظات فى خطاباته التى كان يرسلها أثناء

مقامه فى مصر إلى صديقه المستشرق الشهير « جول مول[1] (Jules Mohl) ناموس الجمعية الأسيوية وعضو المجمع الفرنسى (l'Institut de France) فى « باريس » ، وقد نشر « مول » بعض هذه الخطابات فى الجريدة الأسيوية « Journal Asiatique » ، وبقى البعض الآخر دون أن ينشر حتى انتقل إلى ابن أخيه مسيو « أ. دى مول O. de Mohl » بصفته الوريث لعمه .

وفى سنة ١٩٠٨ كان « أ. دى مول » وزيراً مفوضاً ووكيلا لألمانيا فى صندوق الدين العام بالقاهرة ، فعثر بين أوراق عمه على أربع عشرة رسالة بخط الدكتور « برُّون » مرسلة من مصر إلى « جول مول » فى « باريس » ، فقدمها لصديقه المرحوم أرتين باشا وكيل وزارة المعارف وقتذاك ، وعضو المجمع المصرى «l'Institut Egyptien» علّه يجد بها ما يهم مصر ، أو المجمع المصرى ، وذلك قبل إرسالها إلى باريس لتضم إلى أوراق « جول مول » المحفوظة بالمجمع الفرنسى .

وقد نشر أرتين باشا هذه الخطابات ومعها مقدمة تحليلية فى سنة ١٩١١ تحت هذا العنوان : « Yacoub Artin Pacha, Lettres du Dr. Perron, du Caire et d'Alexandrie, à M. Jules Mohl, à Paris. 1838—1854, Le Caire, 1911. »

وفى هذه الخطابات صور من نشاط « برُّون » العلمى فى الترجمة والنشر .

والدكتور « برُّون » فرنسى الأصل ، ولا نعرف شيئاً كثيراً عن حياته الأولى

(١) جول مول ألمانى الأصل ولد فى « ستتجارت Stuttgart » فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٠٠ ، ودرس فى كلية توبنجن ، ثم سافر إلى باريس وتجنس بالجنسية الفرنسية ، ودرس هناك على المستشرقين الفرنسيين ، وكان معنياً بالدراسات الفارسية وله مؤلفات وأبحاث كثيرة أهمها نشره لكتاب الشاه نامه للفردوسى فى سبعة مجلدات ضخمة ؛ ثم أتبعه بترجمة فرنسية مذيلة بالحواشى ، وتوفى فى ٤ يناير سنة ١٨٧٦ . انظر : شيخو ، الآداب العربية فى القرن ١٩ ، بيروت سنة ١٩٠٨ — ١٩١٠ ، ج ٢ ص ٥٥ ؛ Y. Artin Pacha, Lettres du Dr. Perron... etc etc Le Caire, 1911. P.6.

فى فرنسا قبل أن يحضر إلى مصر ، غير أنه يبدو أنه عنى ـ وهو فى باريس ـ إلى جانب دراساته الطبية العلمية ؛ بدراسة اللغة العربية ، وتتلمذ إذ ذاك على كبير مستشرقى فرنسا « سلفستر دى ساسى Silvestre de Sacy » كما تتلمذ على المستشرقين : « جان جاك كوزين دى برسيفال » الأب ، و « أرمان كوزين دى برسيفال » الإبن[1] .

ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ مقدمه إلى مصر ، وإن كان « كلوت بك » يذكره ضمن الأساتذة الأول لمدرسة الطب المصرية بأبى زعبل ، فإذا صح أنه بدأ عمله بهذه المدرسة وقت إنشائها فإنه يكون قد حضر إلى مصر فى سنة ١٨٢٧ (١٢٤٢ـ١٢٤٣ هـ) .

وظل « برُّون » يدرس فى مدرسة الطب مادتى الطبيعة والكيمياء حتى بعد نقلها إلى القصر العينى .

ويبدو من رسائله إلى صديقه « مول » أنه كان فقيراً ، رقيق الحال ، فقد كتب إليه فى خطابه المرسل من الإسكندرية بتاريخ ١٠ اغسطس سنة ١٨٣٦ : « أشر علىّ بما ترى أنه خير وأفضل لى أن أعمله فأننى فقير لا أملك إلا مدادى .. »[2] ، وقال فى خطاب آخر أرسله لصديقه من القاهرة فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٣٩ : « وأما أنا فقد عهد الى بإدارة مدرسة الطب .... وهذا المنصب

(١) ذكر « برُّون » مرة فى أحد خطاباته لصديقه « مول » أنه سيكتب قريباً لمسيو « كوزان » ، وطلب من صديقه أن يبلغه أنه سيعمل التحليل الذى طلبه منه ، وأنه يشرفه جداً أن يتمتع بصداقة وثقة عالم كبير كمسيو « كوزان » ؛ وفى خطاب آخر طلب من صديقه أن يسلم خطابا أرسله لأستاذه العزيز « كوزان دى برسيفال » : "l'autre est une seconde lettre que j'adresse à mon cher professeur Monsieur Causin de Perceval..." ، انظر : Yacoub Artin, Lettres du Dr. Perron, PP. 51, 53. ، ومن الواضح أن « برون » يقصد دى برسيفال الإبن فإن هذه الإشارات وردت فى خطابين بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٨ و ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، و « دى برسيفال » الأب توفى سنة ١٨٣٥ ، انظر : يوسف جبرا ، تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا ص ٢٨ ؛ وشيخو ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) Y. Artin Op. Cit, P. 11 .

الجديد قد عاد على بشيء من التحسين المادى — أعنى المالى — غير أن كل شيء هنا وقتى ، ورهين بتقلب الأحداث والأشخاص ، لدرجة أننى لو كنت أعرف أننى سأجد فى فرنسا ـ فى الحال ـ نصف ما أجمعه هنا ، لرحلت اليها تواً . . »[١]

ونجده فى نفس الخطاب قلقاً جدا لإهتمامه بطبع كتاب الأنساب[٢] الذى ترجمه إلى اللغة الفرنسية ، وكان قد كلف صديقاً له فى باريس إسمه « مسيو دوبرات M. Duprat » أن يقوم بنشره ؛ يقول « برُون » فى خطابه لمول — وفيما يقول دليل واضح على رقة حاله — : « لقد تركت له مسألة النفقات وتقديرها ، وإنى أرى أن كل شيء غير مناسب الآن للقيام بهذا النشر الذى أريده (وأريده أن يتم بأقل نفقات ممكنة ، وذلك دون إهمال ما يتطلبه ظهور الكتاب) إذ أنه قلما تصرف لنا مرتباتنا ، والحكومة مدينة لنا بمرتب سنة ، فإذا كان مسيو « دوبرات » يثق فىّ الثقة الكافية ، فإنى أرجو أن يتولى الطبع فى الحال ، واعداً إياه أن أقوم بسداد المبلغ منجما كلما صرفت لنا الحكومة .... وإلى هذا فإن مرتبى قد زاد ، فقد كنت أتقاضى ثلاثة أكياس فجعلها الباشا خمسة . . »[٣]

ظل الدكتور « كلوت بك » مديراً لمدرسة الطب المصرية حتى سنة ١٨٣٤ حيث تخلى عن منصبه للدكتور « دفينو Duvigneau » وكان أستاذ الباتولوجيا والعيادة الداخلية ، وفى سنة ١٨٣٩[٤] عين الدكتور « برون » مديراً لهذه المدرسة .

---

(١) Y. Artin, Op. Cit, P. 12 .

(٢) هو كتاب « اليتيمة فى النسب وفضائل العرب » أحد أقسام الجزء الثانى من العقد الفريد لابن عبد ربه .

(٣) Y. Artin, Op. Cit. PP. 13—14. والكيس كان يساوى ٥ جنيهات ، أى أن مرتبه كان ١٥ جنيها فأصبح ٢٥ جنيها ، ونلاحظ أن هذا الخطاب صادر عن مصر فى أواخر سنة ١٨٣٩ ، وكان نضال محمد على وقتذاك ضد الدولة العثمانية يستنفد معظم إيرادات مصر ، فلا عجب إذن أن أخرت الحكومة صرف مرتبات الموظفين .

(٤) يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر محمد =

ولبث « برُّون » مديراً لمدرسة الطب ست سنوات ، وفى سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥) أنعم عليه محمد على باشا برتبة قائمقام ؛ وفى السنة التالية ١٢٦٢ (١٨٤٦ م)[١] استقال من منصبه ، وعاد إلى فرنسا فأقام فى باريس ثمانى سنوات ؛ ثم شعر بالحنين إلى مصر فعاد إليها فى أواخر سنة ١٨٥٣ (١٢٦٠ هـ) حيث عمل كطبيب حر فى مدينة الإسكندرية[٢] ؛ ولا نعرف متى غادر مصر ثانية إلى وطنه ، ولكننا نعلم أنه مات فى باريس فى ١١ يناير سنة ١٨٧٦ (المحرم سنة ١٢٩٣ هـ) فى نفس السنة التى توفى فيها صديقه ومراسله العلامة « ج . دى مول » .

وقد كتب المسيو « إرنست رينان M. Ernest Renan » مرثية للرجلين فى التقرير المقدم عن أعمال الجمعية الإسيوية لسنتى ١٨٧٥ — ١٨٧٦ [٣]

قال « رينان » فى رثائه للدكتور « برُّون » : « فى الحادى عشر من يناير اختفى أيضاً رجل ترك فى تاريخ دراساتنا تذكاراً باقياً ، وأعنى به الدكتور

= على » ص ٢٨٤ : « وإلى أوائل سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٧) كان « دڤينو » مديراً لمدرسة الطب وخلفه الدكتور « برون » ويفهم من قوله إن الدكتور برون تولى هذا المنصب سنة ١٨٣٧ ، ولكننا نستطيع أن نحدد — بوجه التقريب — تاريخ تعيينه مديراً للمدرسة ، ذلك أنه لم يشر إلى أى تغيير فى مركزه فى خطابه المرسل من القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ولكنه تحدث إلى صديقه « مول » فى خطابه الصادر من القاهرة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣٩ عن ترقيته إلى هذا المنصب ، وعن زيادة مرتبه تبعاً لهذه الترقية ، فيكون « برون » قد تولى هذا المنصب قطعاً بين مارس وسبتمبر سنة ١٨٣٩ ؛ انظر أيضاً : Enc IsL. Art: Tunisi .

(١) جاء فى Enc. IsL. Art: Tunisi أنه عاد إلى فرنسا فى سنة ١٨٠٠ ، والصحيح ما ذكرناه هنا نقلا عن عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، الذى اعتمد عند ذكر هذا التاريخ على بعض وثائق عابدين .

(٢) وقع على خطابه المرسل من الإسكندرية فى ١٩ يناير سنة ١٨٥٤ هكذا : برون طبيب صحى باسكندرية : Perron, Médecin Sanitaire à Alexandrie. Voir : Y. Artin, Op. Cit. PP. 38, 109.

(٣) 28 Juin 1876, 7me série, tome VIII .

« برُّون » ، وهو واحد من أوائل الملتحقين بهذه الفرقة من الرجال المستنيرين القادمين ، الذين عضدوا — وهم فى مصر — مشاريع محمد على لتحضير هذا البلد .

« وبرُّون لم يدرس الشرق كباحث فقط ، وإنما كان يؤمن — ككل أفراد الجيل الذى كان من أبنائه — بالشرق ، كما كان يأمل فى ابتعاثه من جديد ، وقد عمل هناك فى إخلاص نادر .

« وكان إنشاء طب عربى فرنسى جزءا من عمله ، وقد أدى خدمات من نفس النوع لمنشآت مدارسنا فى الجزائر ؛ وكان يحب العرب ، ويعتقد فى إمكان ربطهم بالحضارة الأوربية ، ممتلئاً فى ذلك بعواطف خيرية ، ومتشبعاً بمبادىء فلسفة عاطفية ... »(١)

آراء برون فى أحداث مصر السياسية :

اعتاد « برُّون » أن يروى لصديقه « مول » — فى خطاباته اليه — نبذاً عن أحداث مصر السياسية الهامة ، وفى هذه النبذ مادة طيبة للباحثين فى تاريخ مصر السياسى فى عصر محمد على :

١ — كان للغة التركية المقام الأول فى مدارس محمد على — وخاصة المدارس الحربية — ، فلما تفاقم النزاع بين الباشا والسلطان ، ووصلت الخصومة الى أوجها فى الحرب السورية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٠) رغب الباشا فى تعريب مصر — إن صح هذا التعبير — وذلك بجعل اللغة العربية أداة التعليم فى المدارس المصرية ؛ يشير الى هذا « برُّون » كما يشير الى أن السبب الحقيقى لهذه السياسة رغبة الحكومة فى الإقتصاد فى مصروفات المدارس ، ونتيجة لهذا عُزل المدرسون الأوربيون الذين كانوا يتقاضون مرتبات عالية ، وحل مكانهم مدرسون

(١) Y. Artin, Op. Cit, P. 7 .

مصريون[1] بمرتبات أقل ؛ وظلت هـذه السياسة رائد الحكومة المصرية حتى بعد انتهاء أزمة سنة ١٨٤١ ، فقد كتب « برؤون » مرة أخرى لصديقه بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٤١ يقول : « ان الشئون المصرية باقية كما هى فى حالة عدم استقرار ، والاقتصاد هو اليوم كلمة الحكومة الأولى ، وهى تعمل على استبعاد الموظفين الأوربيين ؛ وتحت تأثير الاقتصاد أيضاً أنقص عدد تلاميذ المدارس ، فمدرسة الطب مثلا ، كان عدد تلاميذها ٣٠٠ فحدد هـذا العدد وأصبح ١٣٠ فقط ، وحدث مثل هذا فى المدارس الأخرى ... »[2]

٢ — كان لهزيمة محمد على — نتيجة — لتدخل دول أوربا — رد فعل قوى فى نفسه ، فلم يعد يهتم بجيشه ، يذكر « برؤون » أنه كان من عادة محمد على أن يلقى إلى رجال جيشه — عند مقابلتهم له — ببعض كلمات ودية ، وكان فى بعض الأحيان يداعبهم مداعبة أبوية ؛ أما عند عودة الجيش من سوريا ، فقد جلس محمد على — على ديوان فى سلاملك القلعة ، وظل ينظر عابساً الى الخارج ، خلال احدى النوافذ — والجيش يمر أمامه ، دون أن يحظى أى ضابط أو صف ضابط بكلمة ودية واحدة .

فشلت مشاريع محمد على بعد جهاد طويل ، واضطر الى اخلاء سوريا ، وأنقص عدد جيشه ، ولكنه لم يركن الى الهدوء والدعة ، بل اتجه الى تنظيم

(١) Y. Artin. Op. Cit. PP. 13, 68—69 ، ورأى « برون » فى هذا الموضوع بعيد عن الصواب فإن سياسة محمد على منذ تولى عرش مصر كانت ترمى إلى تحقيق هذا الأمل ، وهو إبعاد الأجانب وإحلال المصريين محلهم ؛ لهذا أنشأ المدارس ، ولهذا أرسل البعثات ، لأنه كان يرى فى صرف الأجانب عن المنشآت الجديدة وإحلال المصريين محلهم « صيانة لأموال الدولة وتخراً لها » وكان يفرح الفرح كله كلما سمع عن نبوغ بعض الضباط المصريين ، ويعد ذلك « فألا حسناً للمستقبل إذ يغنى الحكومة عن استخدام الأجانب » ، انظر بحثنا عن الترجمة فى عصر محمد على ، وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٣٣ و ٣٤ .

(٢) Y. Artin. Op. Cit. PP. 68—69 .

البيت ، واستثمار أرضه ، فعنى بالزراعة ـ عناية كبيرة ، يقول « برُّون » فى خطاب له بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٤٢ : « حالة الدولة كما هى منذ شهور كثيرة والباشا يمر باستمرار فى الأقاليم لتشجيع الأعمال الزراعية ، وهو الآن فى الوجه البحرى حيث يعمل لزرع كميات كبيرة من السمسم »(١) ثم يقول : « وفيما يتعلق بالجيش ، لم يعد أحد يهتم به ، لا الباشا ولا أى انسان آخر ، وعدده يقل كل يوم ، وعدد الخارجين منه يزيد باستمرار . . »(١)

وذكر « برُّون » بعد ذلك أن كبار أمراء الأسرة العلوية انتهجوا نهج محمد على ؛ فإبراهيم باشا « كان غائباً عن القاهرة منذ شهور طويلة ، ولا يشغل نفسه إلا بالزراعة ، وكذلك عباس باشا ، فإنه يمر بأملاكه ، وبمزارع الحكومة . . . »(٢) .

٣ — ويشير « برُّون » فى رسائله أيضاً إلى الضرائب الجديدة التى فرضها محمد على فى هذه الفترة ، ومنها ضريبة عقارية جديدة على المنازل فى المدن وقيمتها $\frac{1}{12}$ من إيجار المنزل ، ومنها ضريبة أخرى كبيرة المقدار على الرقيق الأسود — رجالا ونساء — الوارد إلى مصر أو الصادر عنها ، وقيمتها ٣٠٠ قرش(٣) .

(١ — ١) Y. Artin. Op. Cit. PP. 18, 19, 72, 73 وقد استخدم محمد على الجنود فى بناء القناطر الخيرية ، وفى زراعة الأراضى التابعة للحكومة فكلفهم بزراعة القطن فى جفالك نبروه ولشكرت تحت إشراف يوسف أفندى وتحت إمرة بعض الضباط وصف الضباط .

(٢) Y. Artin. Op. Cit. PP. 20, 73 .

(٣) يتحدث حكاكيان بك عن هذه الضريبة فى مذكراته الغير منشورة ، المحفوظة فى المتحف البريطانى بلندن Memoires inédits du Hekekyan Bey. deposés en manucrit au British Museum à Londres" تحت تاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٨٤٣ فيقول : « فرض الوالى ضريبة قدرها ٣٠٠ قرش على كل عبد يرد إلى مصر ، ولكن هذه الضريبة لم تؤثر فى حركة الوارد من الرقيق ، والباشا يرى أنه قد حان موعد إلغاء هذه التجارة ، والإنجليز يعنون نقل الرقيق بوساطة البحر بين إفريقيا وبلاد العرب . . . » ، ويذكر أرتين باشا ، =

ويذكر « برِّون » أن الباشا قدّر في نفس الوقت ما قد يكون لهذا المنع من أثر اقتصادى فى التجارة المتبادلة بين مصر والسودان والحبشة ، فعمل على تشجيع التجارة فى الأصناف الأخرى الواردة من هذه البلاد ، كالعاج والصمغ العربى ، وحرّر هذه الأصناف من أى نوع من أنواع الضرائب .

٤ — كان للحكم المصرى فى سوريا أثره الواضح فى نشر الأمن والنظام فى ربوع هذا القطر الشقيق ، ولكن لم تكد جنود محمد على تنسحب من هذه البلاد ، ويعود إليها الجنود والحكام العثمانيون حتى عادت معهم الفوضى القديمة واشتد النزاع القديم بين طائفتى الدروز والموارنة ، يشير إلى هذا النزاع دكتور « برِّون» فى خطابه المؤرخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٤١ فيقول :

« والدروز والموارنة فى نزاع مستمر وعداء ، وقد رأيت هذه الأيام مسافراً عاد من سوريا فأكد لى أن كل شىء هناك فى فوضى ؛ وفى نابلس نفسها رفض السكان دفع الضرائب (١) » .

آراء برون فى الحالة العلمية :

١ — كانت مصر فى عهد محمد على قد بدأت تأخذ بأسباب نهضة علمية جديدة ، فأنشأت فيها المدارس على النظام الأوربى لتدريس العلوم الحديثة ،

= المرجع السابق ص ٢١ — ٢٢ أن السير ج. بورنج Sir J. Bowring و « الكومودور نابييه Napier » كانا شديدى الاهتمام بهذا الموضوع ، وأن محمداً علياً حاول هذه المحاولة تحت تأثيرها ؛ ويروى حكاكيان بك فى مذكراته السابق ذكرها بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٨٤١ ملخص حديث دار بين « نابييه » ومحمد على ، وفيه يبين الوالى رأيه فى مشكلة إلغاء الرقيق : « أتى نابييه فى المساء وتحدث إلى الباشا بشأن الرقيق ، وقال له الباشا وعلائم السرور بادية عليه : إن ابنه سيبذل جهداً أكثر من جهده لمنع هذه التجارة ، وأن حفيده سيغالى أكثر من ابنه فى هذا الحظر ، وهكذا يتشدد فى المنع أحفاده واحد بعد الآخر حتى تنتهى هذه التجارة إلى الإلغاء » .

(١) Y. Artin. Op. Cit. PP. 17, 20—21, 69. وانظر لتوضيح العلاقة بين هاتين الطائفتين : « حروب إبراهيم باشا المصرى فى سوريا والأناضول » ج ٢ ص ٦٦ — ٦٨ وهو لمؤرخ مجهول ، علق حواشيه الدكتور أسد رستم ، وعنى بنشره الخورى بولس قرألى ، =

كالطب بفروعه المختلفة ، والطبيعة ، والكيمياء ، والتاريخ والجغرافيا ، والنبات والحيوان ، والجيولوجيا ، وعلوم الرياضة المختلفة ، كالهندسة ، والحساب ، والجبر ... الخ . الخ .

واختير من بين نوابغ الخريجين نفر أرسلوا فى بعثات لممالك أوروبا ، وخاصة فرنسا ؛ وكانت جهود هذه المدارس مركزة أول الأمر فى ترجمة المؤلفات الأوربية فى هذه العلوم ، وتلت هذه الجهود جهود أخرى لنشر بعض المؤلفات العربية القديمة الهامة . وقد أرّخ « برّون » لهذه الحركة تأريخاً لطيفاً مفيداً ، فكتب قائمة كاملة شاملة لجميع الكتب العربية ، والفارسية والتركية — مترجمة ومنشورة — التى طبعت فى مطبعة بولاق حتى سنة ١٨٤٢ (سنة ١٢٥٨ هـ) ، وأرسلها لصديقه مول لنشرها فى الجريدة الأسيوية[١] ؛ ولكن « مول » كان قد تلقى فى نفس الوقت من « موسيو بيانكى » قائمة أوفى فأهمل الأولى ونشر الثانية ، ثم أرسل « برّون » لصديقه « ج . مول » فى نفس السنة (١٨٤٢) خطاباً آخر تحدث فيه عن المدارس الجديدة ومطبعة بولاق ، وقد نشر هذا الخطاب أيضاً فى الجريدة الأسيوية سنة ١٨٤٣[٢] .

المطبعة السورية بعصر الجديدة سنة ١٩٢٧ . وقد انتهى هذا النزاع بين الدروز والموارنة حوالى سنة ١٨٦٠ نتيجة لتدخل نابليون الثالث الحربى .

(١) Voir: Bianchi, Catalogue géneral des livres arabes, persans, et turcs imprimés à Boulac en Egypte depuis l'introduction de l'imprimerie dans ce pays : Journal Asiatique, 4e serie, 1843, t II, PP. 31 et seq ، وكان قد سبقه « رينو » فكتب مقالا فيه ملاحظات عن الكتب التى طبعت فى بولاق حتى سنة ١٨٣١ — ١٢٤٧هـ) انظر: Renaud, Notices des ouvrages arabes, persans et turcs imprimés en Egypte, Journal Asiatique, 2e serie, t. XIII, 1831. PP. 333—344 .

(٢) Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d' É'gypte, par M. A. Perron à M. J. Mohl, Kaire 22 Octobre 1842. Journal Asiatique. 4me serie, t II, 1843. PP. 5 à 23. وقد استعان « برون » عند كتابة الجزء الخاص بالتعليم فى المساجد من هذا المقال بأستاذه الشيخ الطنطاوى .

٢ — وقد استطاع « برُّون » أن يندمج فى الوسط العلمى المصرى بحكم اشتغاله بالتدريس ، وبحكم معرفته باللغة العربية ؛ غير أن معظم الأجانب الموجودين فى مصر وقتذاك للساهمة فى نهضة محمد على التعليمية والإصلاحية ، كانوا يجهلون اللغة العربية ، وهم قوم مثقفون يحبون البحث والقراءة ، وليس فى مصر مكتبات أفرنجية ، أو محال لبيع الكتب الأجنبية ، لهذا كوّن هؤلاء الأجانب فى القاهرة جمعية أسموها «الجمعية المصرية[1]» Société Egyptienne تحدث عنها « برُّون » كثيراً فى خطاباته لصديقه « مول » ، فذكر أنها أسست سنة ١٨٣٥ (سنة ١٢٥١ هـ) ، وكان غرضها الأول إنشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب ، وخاصة ما يتحدث منها عن الشرق : تاريخه ، وجغرافيته وأديانه ، وعاداته ... الخ .. الخ .

وكانت مالية الجمعية تتكون من :

ا — اشتراكات الأعضاء ، واشتراك العضو فى السنة مائة وخمسة قروش .

ب — ومن هبات الرحالة الأوروبيين الذين يمرون بالقاهرة ، فإن أى سائح أوروبى كان يستطيع أن يدخل الجمعية ، ويتمتع بالقراءة فى مكتبتها على

---

(١) Y. Artin. Op. Cit. PP. 15, 21, 25, 65, 76—77. ؛ وقد مر بمصر السائح الإنجليزى C. Rochfort Scott حوالى سنة ١٨٣٥ ، وقد وصف هذا السائح فى كتابه : Rambles in Egypt and Candia, London 1837, V: I. P. 216. ماتعانيه الجالية الأوربية المثقفة فى القاهرة من قلة الكتب ، ثم أشار إلى هذه الجمعية وما تؤديه من خدمات ، قال : «أما عن الكتب — فى القاهرة — فمن العسير الحصول على أى كتاب اللهم إلا الكتب الكثيرة الاستعمال التى نجدها فى مكتبات الدرجة الثالثة عند الإيطاليين ، أما الصحف فإنا لا نحصل عليها إلا مرة واحدة فى الشهر » ثم يشير إلى الجمعية المصرية بقوله : « وأخيراً تكونت جمعية اسمها الجمعية المصرية أسسها بعض الأجانب فى القاهرة ، وستقدم للسائحين خدمات كثيرة فى المستقبل ، ففيها مكتبة ، وفيها سيكون مكان صالح لاجتماعهم ، وسكرتيرها طبيب إنجليزى اسمه ڤالن Walne » ، هذا وقد تولى حكاكيان بك رئاسة هذه الجمعية أكثر من مرة ، وفى مذكراته السابق ذكرها أحاديث كثيرة عنها .

شرط أن يقدمه للجمعية أى عضو من أعضائها ، وكان هؤلاء السائحون يقدرون ما تؤديه الجمعية من فوائد ثقافية للجاليات الأوروبية فى القاهرة ، فكانوا يتركون عند رحيلهم بعض الجنيهات — كهبة فى صندوق الجمعية .

وقد تطورت أغراض الجمعية بعد نحو ست أو سبع سنوات من تأسيسها ، فأصبح من أغراضها طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق ؛ يقول « برُّون » عضو الجمعية وسكرتيرها فى خطابه المرسل من القاهرة بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤٢ : وعندنا الآن تحت الطبع مذكرات شائقة جدا عن الموقع الحقيقى لبحيرة قارون بالفيوم ، وعن حدودها ، والعلاقات القديمة بينها و بين فيضان النيل . . الخ . . الخ ، وهذا الكتاب من وضع مسيو « لينان » الرئيس الحالى للجمعية المصرية[١] .

وواضح من هذا الخطاب أن رئيس الجمعية فى سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ هـ) هو المهندس الفرنسى الشهير مسيو «لينان» ؛ وقد كان سكرتيرها فى تلك السنة ، وفى سنوات مقبلة هو الدكتور « برُّون » ، و بفضل صلته بجول مول وافقت الجمعية الأسيوية على أن تقدم لزميلتها الجمعية المصرية المساعدات الممكنة لبيع كتبها ومنشوراتها فى باريس ، يقول «برُّون» لصديقه فى نفس الخطاب : « اطلعت الجمعية على خطابكم الذى تعرضون فيه مساعدة الجمعية الاسيوية لتسهيل بيع الكتب التى سننشرها ، وقد قبل عرضكم هذا بكل سرور ، وإنى أقدم لكم شكر الجمعية . . »

وقد اعترضت هذه الجمعية صعوبات كثيرة ، ففى عهدها الأول (ما بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٤٢) قام نزاع شخصى بين رئيس الجمعية دكتور « ڤالن

---

(١) Lettres du Dr. Perron. PP. 23, 76—77 .

« Dr. Walne » وسكرتيرها العام « دكتور م . أبوت Dr. M. Abbot»[١] ، وأدى هذا النزاع إلى انفصال بعض الأعضاء ، وتكوينهم جمعية جديدة أسموها الجمعية الأدبية: «Association Littéraire» ؛ يقول « برُون» فى خطابه السابق: « وهذه الجمعية المنفصلة تضم نحو الستين عضوا ، وقد دفعوا رسم التأسيس ، وتنوى هذه الجمعية أن تعمل على النشر وخاصة النصوص الهيروغليفية ، وتحاول أيضا إنشاء مكتبة . . »

أما الجمعية المصرية فقد انتهت حياتها إلى الانحلال فى عهد متأخر فضُمت مكتبتها إلى المكتبة الخديوية [دار الكتب المصرية الآن] فى سنة ١٨٧٣ أو سنة ١٨٧٤ ؛ وذلك اتباعا لأمر أعضائها الأخيرين وهم : « حككيان بك Hekekian Bey» و« مسيوتوبورن M. Thuborn » و« كانى بك Cany Bey »

٣ — ولم يقنع « برُون» باتصاله بأنداده العلماء الأوروبيين المقيمين فى مصر لأنه كان معنيا بالبحث فى الكتب العربية ، وترجمتها والكتابة عن موضوعات مختلفة من تاريخ الشرق ؛ وقد أتى مصر وعربيته ضعيفة — دون شك — فعمل على أن يزيد معرفته بهذه اللغة ، وقد كان فى مدرسة الطب المصرية التى يدرس فيها هيئات مختلفة تعمل مشتركة لترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية ، أهمها هيئة المترجمين ، وهيئة المحررين والمصححين ؛ وأعضاء الهيئة الأخيرة كلهم من خيرة مشايخ الأزهر المعروف عنهم الدقة فى البحث ، والشغف بالقراءة فكان منهم فى مدرستى الطب البشرى ، والطب البيطرى : الشيخ محمد عمر التونسى ، والشيخ ابراهيم الدسوقى[٢] ، والشيخ محمد الهراوى ، والشيخ

---

(١) وهما طبيبان إنجليزيان كانا فى خدمة محمد على باشا .

(٢) اتصل الشيخ الدسوقى بالمستشرق الإنجليزى « مستر لين M. Lane. » وعملا معاً على مراجعة القاموس المحيط مع شرحه تاج العروس الذى ترجمه « لين » فيما بعد ، وطبع فى لندن سنة ١٨٦٣ تحت اسم : Arabic English Lexicon انظر مقدمة هذا القاموس ، وانظر أيضاً =

سالم عوض القنياتى ، والشيخ مصطفى كساب . . الخ

وقد اتصل « برُّون » بهؤلاء المشايخ ، وأفاد منهم ؛ غير أننا نحب أن نعرض لرأى « برُّون » فى علماء مصر وقتذاك قبل أن نتحدث عن علاقته بهؤلاء المشايخ المحررين .

ورأى « برُّون » فى علماء مصر فى ذلك العصر صحيح — رغم قسوته (١) ومرارته — فقد ظلت مصر طوال العصر المملوكى العثمانى تعيش فى جهل مطبق ، وغدا علماء مصر لا يعنون إلا بالدراسات الشكلية فى الدين واللغة ؛ وعندما بدأ

= على مبارك باشا ، الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ٩ — ١٣ ؛ المقالين المتعين اللذين كتبهما الأستاذ أحمد أمين بك عن العلاقة بين الرحلين فى الثقافة عددى : ١٢٦ و ١٢٧ .

(١) رأى « برون » فيما يلى قاس مرير ، ولكنه لا يبلغ فى القسوة والمرارة ما بلغه وصف الجبرتى لحالة العلم والعلماء فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، فإنه يروى أن أحمد باشا الوالى التركى الذى ولى مصر فى سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) كان من المحبين للعلوم الرياضية المشتغلين بها ، فلما أتى إلى مصر قرّب إليه جماعة من أشياخها وخاصة الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر ، وفى يوم دار بين الرجلين الحديث الآتى : « فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » فقال له الشيخ : « هى يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف » ؛ فقال : وأين هى ؟ وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئاً ، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ، ونبذتم المقاصد ، فقال له نحن لسنا أعظم علمائها ، وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام ، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث » الخ . . . الخ ، وطال الحديث بين الرجلين إلى أن قال الشيخ : « وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقة الطبيعة وحسن الوضع ، والخط والرسم ، والتشكيل ، والأمور المطاردية ، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء ، وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك ... الخ » ؛ ثم دله الشيخ على الشيخ حسن الجبرتى والد المؤرخ وكان من المشتغلين بهذه العلوم فاستدعاه الباشا وقربه إليه « ولازم المطالعة عليه مدة ولايته ، وكان يقول : لو لم أغنم من مصر إلا اجتماعى بهذا الأستاذ لكفانى ... » ، ويختم الجبرتى هذه القصة بقوله : « وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له : « سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا ، فإنه لولا وجودك كنا جميعاً عنده حميراً ... » انظر الجبرتى ، عجائب الآثار ، القاهرة سنة ١٣٢٢ ج ١ ص ١٩٣ — ١٩٤ .

محمد على نهضته التعليمية بقى شيوخ الأزهر — إلا من اتصل منهم بالمدارس للتتلمذ أو للتحرير والتصحيح — بعيدين عنها ، بل ساء رأيهم فى خريجى المدارس والبعثات ، وكانوا « يسخرون من المصريين الذين تعلموا فى أوربا ، ويقولون إنهم تعلموا تعليماً سطحياً ، وهم كالطائر الذى يحجل ويتهادى فى مشيته دون أن يحسن الطير »[١]

ومن العجيب أن نعرف أن دكتور « برُّون » هو أول من فكر فى طبع القاموس[٢] المحيط للفيروزابادى فى مصر ، وقد تحدث عن مشروعه هذا فى خطابه المرسل من القاهرة فى ١٤ يناير سنة ١٨٤٥ ، وفيه أيضاً يبدى رأيه فى علماء الأزهر فيقول : « أظن أن هذا المشروع مفيد ، لا للأجانب المشتغلين باللغة العربية فحسب ، وإنما للمسلمين أيضاً ، فهذا القاموس سيساعد عدداً كبيراً من العلماء على البحث ، أو على الأقل على القراءة ، فهؤلاء العلماء ليسوا علماء إلا بالاسم فقط ، فهم فى غاية الكسل والجهل ، وهم لا يعرفون أسماء أبسط الكتب ، ومع ذلك فهم يحسبون أنهم يعرفون كل شيء . . . وليس فيهم من يؤلف ،

---

(١) Enc. Isl. Art : Azhar .

(٢) تحدث « برون » كثيراً فى خطاباته عن مشروع طبع القاموس ، وذكر أنه أعد للمراجعة نسخاً كثيرة مخطوطة والنسخة التى طبعت فى كلكتا سنة ١٢٣٠ — ١٢٣٢ هـ ، وأنه اتفق مع الشيخ التونسى على مراجعة النسخ وتصحيحها أثناء الطبع ، وأنه طلب من محمد على باشا أن يأذن له بطبعه فى مطبعة بولاق ؛ انظر : Enc. Isl. Art : ~~Gomard~~, Tunisi فى مقدمته لكتاب Voyage au Darfaur, P. 10 . غير أننى رجعت لأقدم نسخة من القاموس طبعت فى بولاق ، فوجدت أنها نشرت فى جزأين بإشراف وتصحيح ، الشيخين : محمد قطة العدوى ، وأبو الوفا نصر الهورينى وذلك فى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦) بأمر محمد سعيد باشا ؛ انظر هذه الطبعة من القاموس ج ١ ص ٦٨٠ وج ٢ ص ٦٨٥ ؛ وقد طبع بعد ذلك طبعات أخرى فى مصر فى : ١٢٨٩ و ١٣١٩ ؛ انظر : سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، عمودا ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ؛ هذا وليس فى المراجع التى أفدت منها ما يبين الأسباب التى عاقت « برون » والتونسى عن تنفيذ مشروعهما ، وجعلت تنفيذه على يد الشيخ نصر الهورينى .

بل لا نجد فى الشرق أحداً يستطيع أن يؤلف كتباً . . . فهؤلاء العلماء يدرسون الفقه وعلوم اللغة ، وأكثرهم علماً يدرسون المنطق. . . والتوحيد ، . . . وأذكى العلماء ينظمون الشعر ، وأى شعر ! . . . وهم كذلك يحبون الزجل حباً جماً ، فهو عندهم منتهى الفن ؛ ومن لم ينشىء زجلا لايكون قد فعل شيئاً .

وتكون مخطئاً إذ حسبت أن القاموس يوجد عند العلماء ، فليس هناك فى القاهرة ولا فى مصر كلها عشرة علماء يملكون هذا القاموس ... » ويختم «برُّون » حديثه بجملة فيها تهكم مرير فيقول : « فلنعط اذن قاموسا للعلماء Donnons donc un dictionnaire aux Ulémas[1] .

وفى خطابه المؤرخ ٩ يناير سنة ١٨٤٠ تحدث « برُّون » عن وفاة شيخ الأزهر فقال : «لقد توفى شيخ الإسلام ، وعين مكانه خلفه الشيخ الصائم[2] ، وهو سيد فقير فى علمه ، ولكنه فى الحقيقة غنى فى ماله» .

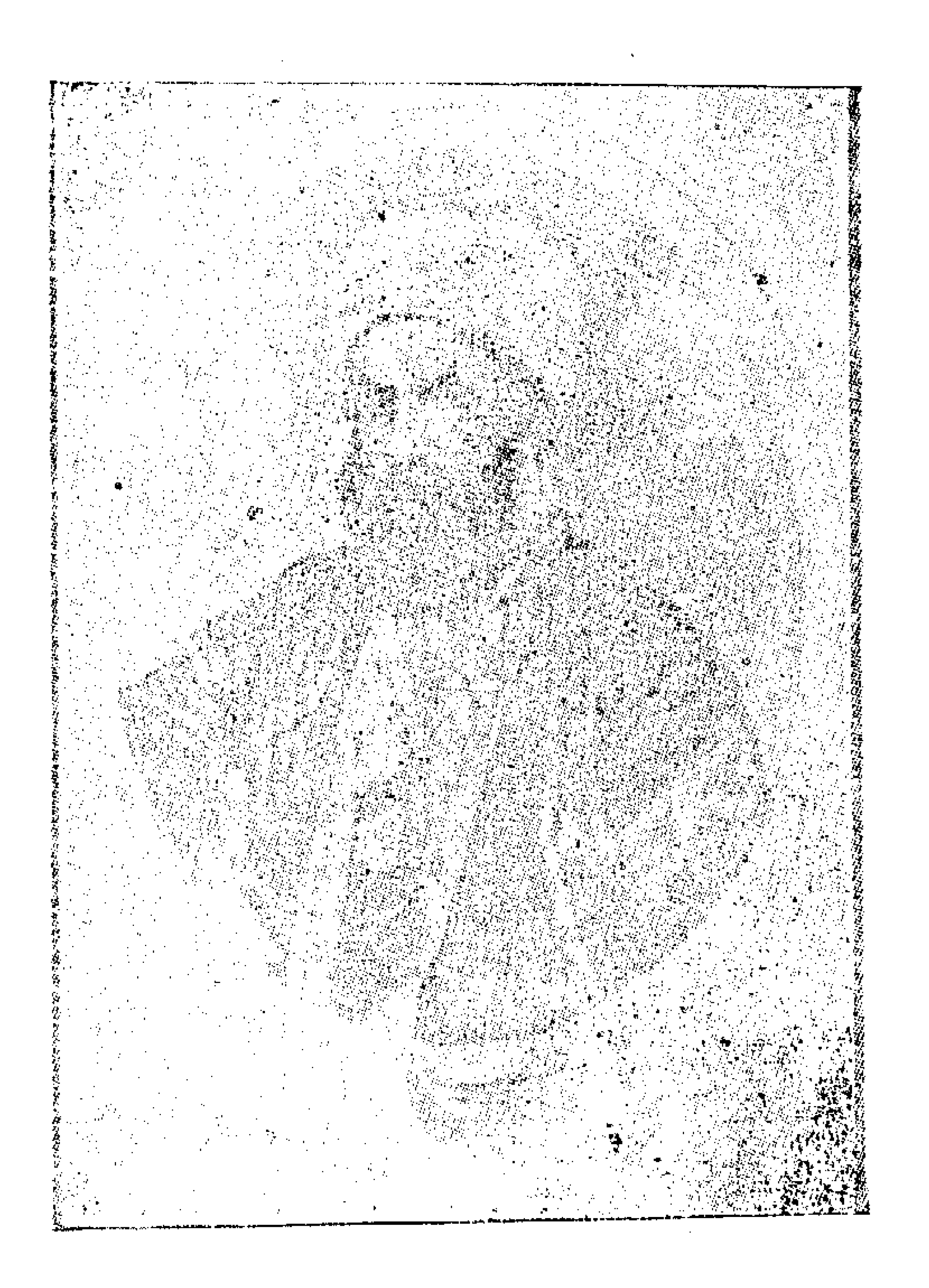
عالمان فقط من علماء مصر الذين اتصل بهم «بروُّن » حازا إعجابه ، وتتلمذ عليهما ، وأشار إليهما فى خطاباته بالإعجاب ، واعترف لهما بالاستاذية ، فقد أعاناه وساعداه فى بحوثه وترجماته العلمية المختلفة ، هذان هما : الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى ، والشيخ محمد عمر التونسى .

---

(١) Lettres du Dr. Perron. P. 29, 90—92 .

(٢) المرجع السابق ص ١٥ و ٦٤ ؛ وقد ورد اسم الشيخ الجديد فى هذا الكتاب بهذا الرسم " le Cheikh El Waim " ولعل « برون » أخطأ فى كتابة الاسم ، أو لعل أرتين باشا أخطأ فى نقله عند طبع الرسائل ، وصحته : الشيخ أحمد عبد الجواد الصائم السفطى (+ ١٢٦٣ — ١٨٤٧) وقد ولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ حسن القويسنى (+ ١٢٥٤ — ١٨٣٨) ؛ انظر : سليمان رصد ، كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٢٣٠ ، ص ١٤١ — ١٤٣ و Enc. Isl. Art : Azhar .

الشيخ محمد عياد الطنطاوى :



الشيخ محمد عياد الطنطاوى

أرسل هذه الصورة المستشرق الروسى « اغناطيوس كراتشقوفسكى » إلى المرحوم أحمد تيمور باشا فى سـنة ١٩٢٤ ، وذلك بمناسبة مقاله الذى نشره عن الشيخ الطنطاوى فى مجلة المجمع العلمى العربى ، وقد نشر هذه الصورة — مع مقال آخر عن صاحبها — الأستاذ محب الدين الخطيب فى مجلته الزهراء :
(م ١ ، ج ٧ ، رجب سنة ١٣٤٢ ، ص ٤١٧ — ٤٢٨) وعنها نقلنا هذه الصورة .

هو الشيخ محمد بن سعيد[1] بن سليمان عياد المرحومى الطندتائى الشافعى ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) فى نجريد ، وهى قرية صغيرة قريبة من طنطا ، وتوفى

(١) ذكر فى بعض مؤلفات الطنطاوى أن اسمه « محمد بن سـعد » لا سعيد ، انظر كتابيه : حاشية على متن الـكافى فى علمى العروض والقوافى ، مخطوط ، مكتبة البلدية رقم ٥٠٢٠ ج ، وحاشية على شرح الأزهرية ، مخطوطة ، مكتبة البلدية باسكندرية ، رقم ٤٩٧٨ ج .

في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٨ (٢٩ اكتوبر سنة ١٨٦١) في «سانت بطرسبرج»

كان أبوه تاجراً متنقلا من سكان محلة مرحوم ، ولما بلغ محمد عياد السادسة من عمره التحق بمكتب في طنطا حيث تلقى علومه الأولى ، فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره سافر إلى القاهرة فأقام مع عمه ، والتحق بالأزهر فدرس على الشيخ ابراهيم الباجوري (+١٢٧٦) ، والشيخ حسن العطار (+١٢٥٠) والشيخ ابراهيم السقاء (+١٢٩٨) ، وغيرهم ؛ ونبغ من زملائه في عهد التلمذة نفر كثيرون أهمهم : رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي ، والشيخ ابراهيم الدسوقي أحد محرري الكتب المترجمة ومصححيها في ذلك العصر ، وأستاذ المستشرق الكبير « مستر لين M. Lane »

وقد اضطر الشيخ محمد عياد أن يعود إلى طنطا بعد وفاة أبيه ، وأن يقيم بها مدة تقرب من العامين (١٢٤٣ — ١٢٤٥ = ١٨٢٧ — ١٨٢٩) ، وهناك أكمل دراسته ، وبدأ يلقي بعض الدروس ، ثم عاد إلى القاهرة حيث تولى منصب ناصب التدريس في الجامع الأزهر فكان من شيوخ الطليعة الذين اتجهوا لتدريس[1] الأدب والشعر ، ولعله كان متأثراً في ذلك بروح أستاذه شيخ العطار

وقد تتلمذ عليه في تلك الفترة نفر من المستشرقين المقيمين في مصر ، أو

---

(١) كانت دروسه في الأدب تعني بقراءة مقامات الحريري وشرحها ، وديوان الحماسة انظر : أدمس ، الإسلام والتجديد في مصر ص ٢٩ ترجمة عباس محمود ؛ Voyaga au Darfour. Trad, Française par Perron, p. 451. و Enc. Isl. Art : Tantawi ؛ وقد ذكر فولرز في هذه المادة أن الطنطاوي اختير في ذلك الوقت للتدريس في مدرسة إنجليزية بالقاهرة ، ولعل هذه هي المدرسة التي كانت تديرها الارسالية الانجليكانية ، وكانت ذات ثلاث شعب : شعبة تعد الشبان الأقباط ليكونوا قسساً ، وشعبة لتعليم البنين ، وشعبة لتعليم البنات ، وقد أنشئت هذه المدرسة حوالي سنة ١٨٣٥ ، انظر تفصيل الحديث عنها في : ~~Sophia Poole, The~~ ; Bowring. Report on Egypt and Candia, PP. 137-138. The English Woman in Egypt, Lon. 1842—44. PP. 4a-41. (Sophia Poole)

الوافدين عليها ، منهم : دكتور « برون » و « فرسنل[١] » و « ج. فيل G. Weil »
و « دكتور برنر Dr. Pruner » و « ر. فراهن R. Frahn[٢] »

وقد أشاد « فراهن » بذكر الشيخ الطنطاوى فى روسيا فدعته نظارة خارجيتها ليدرس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية « Institut des Lungues orientales » فى « سانت بطرسبرج » . وكان الوسيط بين نظارة الخارجية والشيخ لإقناعه بالسفر « الخواجة بكتى » ترجمان القنصلية الروسية بالقاهرة[٣] « Agent Consulaire. » .

ولم تحدد المراجع التى كتبت عنه السنة التى سافر فيها إلى الروسيا ، غير أنه

---

(١) هو صديق حميم للدكتور « برون » وهو أول من عرف علماء أوروبا بالشيخ الطنطاوى انظر J. A. 3rd ser. V, 1828 . وقد كان أيضا صلة التعارف بين الشيخ الدسوقى و « مسترلين »

(٢) كان أبوه أول مدير للمتحف الأسيوى فى سانت بطرسبرج .

(٣) انظر : أحمد تيمور باشا ، الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، مقال نشر فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، عدد أيلول سنة ١٩٢٤ ج ٩ ، م ٤ ، ص ٣٩٠ ؛ وكراتشكوفسكى Kratschkovsky ، مقال بنفس العنوان فى نفس المرجع ، عدد كانون الأول سنة ١٩٢٤ ، ج ١٢ ، م ٤ ، ص ٤٩٤ . هذا وأسرة بكتى Bokty » من أقدم الأسر السورية المشهورة ، نزح أفراد كثيرون منها لى مصر فى القرن الثامن عشر ، وقد أهلتهم معرفتهم باللغات الأوروبية إلى تولى مراكز القنصلية للدول الأوروبية فى القاهرة ، انظر : الخورى بولس قرألى ، السوريون فى مصر ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٢٠ ، ١٠٨ حيث يذكر أن جد هذه الأسرة « أبو جبران » وفد على مصر ، وتوفى بها سنة ١٧٦٢ ، وهو فى سن الثمانين ، وقد نبغ من هذه الأسرة فى أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر رجلان ، أولهما « بطرس بكتى » وهو المذكور فى هذا المقال ، وكان قنصلا للروسيا فى القاهرة . وقد تولى إقناع الطنطاوى بالسفر إلى الروسيا ؛ وثانيهما « يوسف بكتى » وكان قنصلا للسويد فى القاهرة وبإيعازه ومساعدته بأرسلت أول بعثة علمية مصرية إلى إيطاليا فى عصر محمد على فى سنة ١٨٠٩ ومنها نبغ عثمان نور الدين باشا فيما بعد ، انظر تفصيلات أكثر فى : قسطنطين الباشا ، محاضرة فى تاريخ طائفة الروم الكاثوليك فى مصر ، لبنان ١٩٣٠ ، ص ١٨ ، ٤٣ ، وشيخو ، الآداب العربية فى القرن ١٩ ، ج ١ ، ص ٨٢ ، Cattaui, Le Règne de M.de Aly d'après les archives Russes. t. I ، وانظر أيضا بحثنا عن « الترجمة فى عصر محمد على » .

من المرجح أنه وصل إلى الروسيا فى سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) ، ويؤيدنا فى هذا الظن شاهدان :

١ — الأول نسخة من سقط الزند[١] كتبها بخط يده ، وذكر فى ختامها أنه نسخها فى سنة ١٢٥٦ هـ وهو فى المحجر الصحى بالقسطنطينية .

٢ — الثانى : رسائل كتبها فى سنة ١٢٥٧ هـ إلى بعض أصدقائه فى مصر ، ورسائل أخرى وردت إليه فى نفس السنة من مصر لتعرف أحواله بعد سفره إلى روسيا ، وقد وردت هذه الرسائل فى كتاب للطنطاوى اسمه « أحسن النخب فى معرفة لسان العرب » وهو كتاب فى اللغة العامية المصرية ألفه بعد وصوله إلى روسيا ، وطبع فى «ليبسك» سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨) .

وقد ذكر على الصفحة الأولى من هذا الكتاب مايلى : «للشيخ محمد عياد الطنطاوى معلم العربى فى مدرسة الألسن الشرقيـة ، والمدرسة الكبيرة الأمبراطورية ببتربورج المحمية » .

وفاتحة الكتاب قصيدة من نظمه موضوعها : « تاريخ ولادة الأمير الكبير شاه زاده نقوله الكسندوفيج » ، ومطلعها :

بعث الهنا نحو السرور رسوله   يقرى عليه سلامه ووصوله

وختمها بقوله مؤرخاً :

أدعو الاله مهنئاً ومؤرخـاً   للروسيا رغد بطلع نقولَهْ

١٩١ ١١١ ١٢٠٤ ٣٣٧

١٨٤٣

---

(٧) كانت لدى الشيخ الطنطاوى مكتبة كبيرة فيها عدد كثير من المخطوطات ومعظمها بخط يده وبعضها من تأليفه ، وقد ضمت هذه الكتب بعد وفاته إلى مكتبة الجامعة فى روسيا ، ولا تزال محفوظة فيها حتى الآن ، ومن بينها هذه النسخة من سقط الزند تحت رقم ٨٣٧ ، انظر : C. Salemann, and V. Rosen, Indices alphabetici codicum manuscriptorum persicorum turcicorum arabicorum qui in Bibliotheca Imperialis Litterarum Universitatis Petropolitanae adservantur. St. Petersburg .

وأطرف هذه الرسائل رسالة كتبها الطنطاوى لزميله وصديقه رفاعة بك الطهطاوى وصف فيهـا بعض ما شاهده فى الروسيا بعيد وصوله : « وأنا شغوف بكيفية معيشة الأوربيين ، وانبساطهم ، وحسن إدارتهم ، وترتيبهم ، وتربيتهم ، خصوصاً ريفهم و بيوته المحدقة بالبساتين والأنهار ، إلى غير ذلك مما شاهدتهم قبلى بمدة فى باريس ، إذ «بتربورغ» لا تنقص عن «باريز[1]» فى ذلك ، بل تفضلها فى أشياء كاتساع الطرق ، وأما من قبل البرد فلم يضرنى جداً ، إنما ألزمنى ربط منديل فى العنق ، ولبس فروة إذا خرجت ، وأما فى البيت فالمداخن المتينة معدة لإدفاء الأرض ، وطالما أنشدت عند جلوسى بقرب النار :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد   أكل الفواكه فى الشتا فليصطل

وتذكرت قول الأعرابى فى يوم بارد :

فإن كنت يوما مدخلى فى جهنم   ففى مثل هـذا اليوم طابت جهنم

وفى سنة ١٢٦٥ (١٨٤٨) عين الطنطاوى أستاذاً فوق العادة فى الجامعة الروسية ، وفى سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤) عين أستاذاً عاديا ، واختير العالم الروسى « نفروتسكى » ليكون مساعداً له .

ومن أنبغ تلاميذه هناك فى الفترة بين ١٨٤٠ و١٨٤٢ المستشرق الفنلندى «ج.ا.[2] ڤالين G.A. Wallin» الذى غدا فيما بعد أستاذاً فى جامعة Helsingfors وظل يراسل أستاذه حتى مات .

---

(١) لم يسافر الطنطاوى إلى باريس ، ولـكن هذه المقارنة تدل دلالة واضحة على أنه قرأ رحلة صديقه رفاعة « تخليص الأبريز فى تلخيص باريز » .

(٢) ارتحل هذا العالم فى حياته إلى بلاد العرب ومصر وسوريا ، ومكث بهـا سنوات يحمل اسم « عبد الولىّ » وقد تبودلت الرسائل بينه وبين أستاذه الطنطاوى مدة ما ؛ وطبع «ڤالن» بعض هذه الرسائل مترجما إلى اللغة الأسوجية ، ويوجد البعض الآخر فى مكتبة الجامعة فى Helsingfors عاصمة فنلندا .

تاريخ وفاته :

لم يُعن أحد بتتبع أخبار الطنطاوى بعد أن طالت مدة إقامته فى روسيا ، ولهذا اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاته ، فالعالم الفرنسى « هيوار Huart »[(١)] يذكر أنه توفى سنة ١٨٧١ ويوافقه فى ذلك الأب لويس[(٢)] شيخو «وبروكلمان» ؛ وذكر أمين فكرى[(٣)] باشا فى كتابه عن رحلته إلى مؤتمر استكهلم الذى سماه : « إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا » أنه توفى سنة ١٨٦٢ فقد روى أنه تقابل فى المؤتمر مع المستشرق الروسى يوسف كوتوال (غوتوالد) وكان قد بلغ الثمانين من عمره ، وذكر أنه ارتبط بوالده عبد الله فكرى باشا برابطة الود والصداقة فكثر اجتماعهما أحدهما بالآخر ، وقال إن والده سأل الأستاذ «غوتوالد» مرة «عن الشيخ محمد عياد الطنطاوى من أعاظم علماء الأزهر ، المتبحرين فى علوم الأدب صاحب التآليف العديدة ، والشعر الرقيق ، وكان توجه إلى بلاد الروسية ، وأقام بها ؛ هل هو حى أو ميت ؛ وهل أعقب ذرية أو لم يعقب ؛ فأخبره الشيخ « كوتوال » كما قيدته وقتذاك فى ورقة محفوظة عندى أن الشيخ محمداً كان بالمدرسة الكبرى ، وبديوان الخارجية بسان بطرسبرج معظما غاية التعظيم ، محترما إلى النهاية ، مرتباً له معاش عظيم ، وكان له ولد وزوجة ، وأنه مات فى سنة ١٨٦٢ على ما يتذكر ، وماتت بعده زوجته ، وكانت من مصر ، علوية ، وبعدها توفى ولده وكان اسمه أحمد على ما يظن ، وأن الشيخ محمداً الموما إليه دفن فى « بطرسبرج » حيث قبور المسلمين بها ، وقبره معلوم هناك ، وكذلك قبر زوجته وابنه . . »

---

(١) Huart, Histoire dela Litterature Arabe, paris, 1903 P, 420.

(٢) شيخو ، الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ؛ بيروت ١٩٠٨ — ١٩١٠ ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

(٣) ارشاد الألبا ، مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٢ ، ص ٦٠٩ — ٦١٠ .

والتاريخ الذى أورده أمين فكرى باشا أقرب إلى الصحة فإن المستشرق الروسى المعاصر « إغناطيوس كراتشقوفسكى »[1] أثبت بعد تحقيق أن الشيخ الطنطاوى توفى فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٦١ ، كما ذكر أن قبره لا زال موجوداً فى المنطقة التترية فى « لينينجراد » ، وعليه كتابة روسية وعربية .

الشيخ محمد عمر التونسى :

هو محمد بن عمر بن سليمان التونسى أصلا ومولداً ، ولد بتونس فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف ذى القعدة سنة ١٢٠٤ هـ (٢٧ يوليو سنة ١٧٨٩) وأمه مصرية ، حملت به فى مصر أيام مجاورة أبيه بالأزهر لطلب العلم .

أسرته :

كان جده سليمان من عظماء أهل تونس ، وأثريائها ، وقد أعقب ثلاثة بنين أوسطهم عمر والد صاحب الترجمة ، وكان سليمان من المشتغلين بالعلم حسن الخط ، ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره ، وكان إلى ذلك عارفا بفن صباغة الثياب ، فكان لهذا « أرفه إخوته معاشاً ، وأحسنهم ارتياشاً » .

سافر إلى الحجاز للزيارة والتجارة فغرقت سفينته فى البحر الأبيض المتوسط ، ونجا هو مع نفر قليل فبقى فى رودس مدة ينفق من « هميان » كان فى وسطه به بعض الذهب ، ثم ركب البحر ثانية إلى الإسكندرية ، ومضى إلى الحجاز فأدى الفريضة ، وخرج عائدا إلى جدة ، فاجتمع هناك بأناس من سنار فنشأت بينه وبينهم صحبة وصداقة ، وعاد معهم إلى بلادهم فقدموه إلى ملكهم ، وأخبروه أنه

---

(١) انظر : كراتشقوفسكى ، Enc. Isl. Art: Tantawi ومقاله السابق الذكر فى مجلة المجمع العلمى العربى ص ٥٦٣ .

رجل من أهل العلم غريب الديار انكسرت سفينته وضاع ماله ، فرحب به ، وأكرمه ، وأنزله دارا خاصة ، وأجرى عليه رزقا .

واستقر سليمان فى سنار ، وخلَّف أولاده الثلاثة فى تونس ، وكان أوسطهم — وهو عمر والد صاحب الترجمة — فى السادسة من عمره ، فكفلهم خالهم السيد أحمد بن العلامة الرحالة السيد سليمان الأزهرى .

تلقى عمر بعض العلوم على خاله ، وعلى غيره من العلماء ، وحفظ القرآن ؛ ولما بلغ مبلغ الرجال أراد الخروج للحج فخرج بصحبة خاله ، وركبا البحر من تونس إلى الاسكندرية ؛ ثم ذهبا إلى القاهرة ، ومنها إلى القصير ؛ يقول الشيخ محمد عمر التونسى فى ترجمته لنفسه : «وبينما هما فى القافلة إذ ناداهما منادٍ : « أيها المغاربة .. » ، فقال أبى : « نعم — من أنت ؟ » ، فقال : «أنا نسيب أحمد بن سليمان » ، فعرفه خال أبى ؛ وقال لأبى : « ياعمر : سلّم على أبيك » فأكب والدى يسلم على أبيه ويقبل يده ، ثم سلم جدى على نسيبه » (١) .

وواصل عمر السير مع خاله لأداء فريضة الحج ، وذهب سليمان إلى القاهرة ، وتواعدا على المقابلة هناك ، فلما عاد عمر وجد أباه قد باع تجارته ورجع إلى سنار .

وكان خال عمر قد توفى فى مكة ، فأقام فى القاهرة يطلب العلم فى الأزهر ، ثم ارتحل بعد قليل إلى سنار باحثا عن أبيه فوجده يحيا هناك حياة هنيئة ، وحوله أولاده من زوجة سنارية .

وطلب عمر من أبيه العودة معه إلى تونس فرفض ، فعاد هو يدفعه شوقه لإتمام دراسته ، وزوده أبوه بثلاثة جمال — على أحدها حمل صمغ وأربع جوارٍ وعبدان ؛ وسار عمر مع القافلة التى ضلت الطريق ، وأصاب أفرادها العطش ،

(١) من ترجمة محمد عمر التونسى لنفسه، ذكرها فى كتابه « رحلة دارفور » ص ٣١ — ٣٢ ، ونقلها عنه على مبارك باشا ، الخطط التوفيقية ، ج ١٧ ص ٣٦ .

ثمن الرقيق ، ونفقت الجمال ، وعاد عمر فقيرا كما ذهب ؛ ولكن حدث فى الطريق أن أصيب دليل القافلة وهاديها بصداع منعه النوم ، فكتب له عمر ورقة وضعها على محل الألم فبرئ الرجل لوقته ، فاعتقد فى عمر الصلاح ، ووهبه عدل صمغ ، فلما وصل الى مصر باع الصمغ « بخمسة وسبعين فندقليا[1] » .

واشتغل عمر ثانية بطلب العلم فى الأزهر ، وتزوج من والدة الشيخ محمد صاحب الترجمة ثم ارتحل إلى تونس ومعه زوجته ، وهناك وُلد له محمد بعد خمسة أشهر .

وفى سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ — ١٧٩٣ م) عاد عمر إلى مصر لإتمام دراسته فحضر دروس الشيخ عرفة الدسوقى ، والشيخ محمد الأمير الكبير ، وبعد قليل عُين نقيبا لرواق المغاربة .

وفى سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧ م) وصله خطاب من أخيه لأبيه بسنار ينعى إليه أباها ، ويذكر أنه ترك « جملة كتب سرقت منا ، وبقينا بحالة تسر العدو ، وتسىء الصديق ، فعجل بالقدوم إلينا لتأخذنا معك نعيش بما تعيش به ..»[2] .

وأسرع الشيخ عمر بالسفر إلى سنار ، وترك ابنه محمدا — وهو فى السابعة من عمره — وطفلا آخر فى الرابعة من عمره ، يقول الشيخ محمد فى ترجمته لنفسه : « وترك لنا نفقة ستة أشهر فمكثنا سنة باعت فيها والدتى أشياء كثيرة من نحاس وحلى » ؛ ثم جاء عمه الصغير ، واسمه « الطاهر » حاجا وتاجرا ، فضمهما اليه ، وتولى الاشراف عليهما ، غير أنه لم يلبث أن غادر مصر إلى بلاد الحجاز لأن ابنه الصغير توفى فى مصر فلم يطق البقاء بها من بعده .

---

(١) التونسى ، تشحيذ الأذهان ؛ باريس ١٨٥٠ ، ص ٣٤

(٢) التونسى ، تشحيذ الأذهان ، ص٣٦ ؛ على مبارك ، المرجع السابق ج ١٧ ص٣٦ ؛ وانظر أيضاً Enc. Isl. Art : Tunisi

صاحب الترجمة

وظل محمد يطلب العلم فى الأزهر حتى ضاقت ذات يده ، ثم سمع بقيام قافلة إلى دارفور — وكان قد سمع بانتقال والده وعمه إليها — فصحبها ، ورحلوا من الفسطاط فى النيل حتى وصلوا منفلوط ثم بنى عدى ، وهناك تأهبت القافلة وتزودت ، ومن بنى عدى سارت براً إلى الواحات الخارجة ، ثم اتجهت جنوبا حتى وصلت إلى دارفور ، وفيها التقى محمد بعمه وأبيه فى بلدة اسمها «حلة جولتو» يقول الشيخ محمد ، : «و بعد أن أقمت عند والدى ثلاثة أيام جهزنى أنا وعمى إلى الأعتاب السلطانية بهدايا من عنده إلى حضرة السلطان[1] ووزيره الأعظم فركبنا من «أبى الجدول» إلى «تندلتى» وهو مقر السلطان ، فى أول شعبان سنة ١٢١٨ ، ويسمى ذلك البلد بلغتهم «الفاشر» ، وكل محل سكنه السلطان يسمى عندهم فاشراً ، فسافرنا يومين سفراً غير شطيط ، ودخلنا ضحوة الثالث فوجدنا بلداً يموج بالساكن ، ويرتج بالقاطن ، ما بين راكب وماش ، وجالس وغاش ، وطبول ترعد ، وخيول تركض ، فحظينا هناك بنيل المأمول ، وحلت هديتنا محل القبول ، ودعانى الوزير الشيخ محمد كرا ، وكسانى كشميراً أخضر وجبة خضرا ، وقفطاناً من القطن الهندى ، وأمر لى بجاريتين وعبد ، وكتب لأبى كتابا صورته : «من حضرة من أكرمه الكريم ، ولا يفارقه الخير والنعيم ، الوزير الأعظم المتوكل على من يسمع ويرى ، الأب الشيخ محمد كرا ، إلى حضرة الأستاذ الأعظم ، والملاذ الأفخم ، علامة الزمان ، ونخبة سلالة سيد ولد عدنان ، السيد الشريف عمر التونسى دام مجده آمين : أما بعد فإنه قد حضر لدينا نجلكم

---

(١) كان عمر قد حظى ، ونال مركزاً ممتازاً عند سلطان دارفور وقتذاك عبد الرحمن ابن أحمد (+ ١٢١٤ = ١٧٩٩) ، وشرح بأمره كتابين فى الفقه والشريعة ، انظر : رحلة دارفور ص ١٠٧ و ٤٢٤ ؛ Enc. Isl. Art : Tunisi .

المكرم ، صحبة أخيكم المحترم المعظم ، بما أهديتموه لنا حسبما هو مشروح فى جوابكم ؛ ففرحنا غاية الفرح بأمرين : الأول ، اجتماع شملك بقرة عينك، والثانى أننا نؤمل إقامتك فى بلدنا ، وهذا هو المقصود الأعظم لتحصل لنا أكبر البركة بكم أهل البيت ، وقد أتحفناه بما صحبه ، ونرجو أن يكون مقبولا لديكم ، ولولا ما نحن فيه من الأشغال لكان الأمر أبلغ من ذلك ، فالمعذرة إليك ، والأمل ألا تنسانى من صالح دعواتك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..» [١]

وعاد محمد إلى والده ، فأقاما معاً شهر رمضان ، ثم سافر إلى الفاشر ، وودع الوزير محمداً كرا ، واستأذنه فى السفر الى تونس على أن يترك ابنه محمداً ليدير أملاكه هناك ، ويجمع خراجها .

وقد أقام الشيخ محمد مدة فى السودان ، نعم فيها ، وطاف بأرجاء البلاد ونواحيها ، ووصف ما رأى من هذه البلاد ، وعادات أهليها فى كتابه « رحلة دارفور » أو كما سماه : « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » ؛ ثم عاد الى مصر « وقد فقدت أمواله وتحولت أحواله » [٢]

وأقبل ثانية على طلب العلم ، ودخل فى خدمة مجدد مصر محمد على باشا ، وكانت أول خدمته كما يقول : « بوظيفة واعظ فى الآلاى [٣] الثامن من المشاة ،

---

(١) تشحيذ الأذهان ، ص ٦٠ — ٦١ ؛ على مبارك ، المرجع السابق ؛ ج ١٧ ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) على مبارك ، المرجع السابق ج ١٧ ص ٣٦ .

(٣) باشرت السلطات المصرية إنشاء هذا الآلاى فى أغسطس سنة ١٨٢٤ ، وعهدت بذلك إلى المهندس الإيطالى شيانطى قاسم أغا ، ولما حضر إلى مصر الجنرال « بوايبه » الفرنسى تولى تدريبه ، وفى أوائل سنة ١٨٢٦ ألحق هذا الآلاى بجيش المورة ، وفى أواخر عام ١٨٣١ أرسل إلى الشام ... الخ انظر الشيء الكثير عن تاريخ هذا الآلاى فى : المهدات لتاريخ الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا ، صفحة من تاريخ الآلاى المشاة الثامن ، للأستاذين الدكتور أسد رستم والبكباشى عبد الرحمن زكى ، مطبوعات المتحف الحربى ، بولاق ١٣٦٢ — ١٩٤٣ .

هذا كتاب تشحيذ الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان
لمؤلفه الأخ الصديق
محمد بن السيد
عمر التونسي
ابن سليمان
عفا
عنه
م

الصفحة الأولى من كتاب « تشحيذ الأذهان »
وهي بخط الدكتور « برون »

وسافرت معه (أى مع ابراهيم باشا) الى المورة ... ثم استخدمت فى مدرسة أبى زعبل لتصحيح الكتب الطبية ، وخصصت منها بتصحيح كتب الأجزأجية ، ومكثت على ذلك حتى اجتمعت بأبرع أهل زمانه حذاقة وفهماً ، وأذكى أهل عصره صناعة وعلماً ، معلم الكيمياء الحكيم «برون» الفرنساوى ، وقد قرأ على كتاب كليلة ودمنة باللغة العربية ؛ فذكرت له بعض ما عاينته فى أسفارى من العجائب، فحملنى على أن أزين وجه الدفتر بإيضاح ما شاهدته ، فامتثلت أمره لما له على من اليد البيضاء، ورأيت أن ذلك أجمل بى أيضاً، لقول صاحب المقصورة

وإنما المرء حـديث بعده   فـكن حديثاً حسناً لمن وعى»[١]

وفى السنوات الأخيرة من حياته اشتغل التونسى بالتدريس فـكان يلقى درساً فى الحديث بمسجد السيدة زينب فى يوم الجمعة من كل اسبوع ، وبقى على ذلك إلى أن توفى سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م)

هذا موجز عن حياة الشيخين اللذين تتلمذ عليهما « برُّون » واستعان بهما فى أعماله وبحوثه العلمية فهو إذا ذكر أولهما فى أى من خطاباته قال دائماً : «شيخنا محمد عياد[٢] Notre Schaykh Mohammed Ayyâd » بل أنه ليصفه بالجرأة والشجاعة إذا ذكره بعد سفره إلى الروسيا ؛ فيقول : « شيخنا الشجاع عياد شيخى وشيخ فرسنل القديم : Notre brave Cheikh ʿAiad, l'ancien Cheikh de M. Fresnel et de moi » .[٣]

وقد كتب مرة لصديقه «مول» يعده بإرسال مقال له عن التعليم فى مصر ، ثم يعتذر إليه عن تأخيره ، لأنه ينتظر حتى يعود إلى القاهرة ، فهو محتاج إلى شيخه محمد عياد ليمده بالمعلومات عن نظام التعليم فى المساجد[٤] ، وعن اتجاه هذا التعليم ، والفوائد التى يظن أنها سوف تجنى منه فى المستقبل .

وفى مرة أخرى ذكر « برُّون» لصديقه «مول» أنه مرسل إليه بحثاً صغيراً مكتوباً بالعربية ، ومترجماً إلى الفرنسية عن أسماء الأعلام العربية — أصولها

---

(١) التونسى، تشحذ الأذهان، ص٥ — ٦ ؛ على مبارك، المرجع السابق ج ١٧ ص٣٧ .

(٢ ، ٣ ، ٤) Lettres du Dr. Perron, PP. 11, 47, 64, 113 . وانظر أيضا : Perron. Lettre sur les ésco les.etc. J. a. 1843. P. 9 حيث يقول عن أستاذيه : « وأنا فى الحقيقة لا أعرف بين الشيوخ فى مصر من يقرأ التاريخ أوله إلمام به غير الشيخ التونسى مؤلف رحلة — السودان — والشيخ التميمى المغربى المعلم الخاص لأولاد إبراهيم باشا ، وكان هنا أيضا عالم ممتاز ومثقف حقا هو الشيخ محمد عياد الذى ارتحل إلى « سانت بطرسبرج » منــذ ثلاث سنوات حيث استدعاه الأمبراطور ، وحيث ينظر إليه نظرة تقدير واعتبار » .

واشتقاقاتها — ، ثم ذكر له أن هذا البحث كان قد كتبه له أستاذه الشيخ محمد عيّاد ، إجابة لطلبه[١] .

وهو إذا ذكر التونسى ذكره بالتجلة والاحترام ، فهو يقول دائماً : « شيخى القديم التونسى « Mon ancien Cheikh El. Tounsy[٢] ، وقد بادله التونسى تقديراً بتقدير ، واحتراماً باحترام ، فهو عنده « أبرع أهل زمانه حذاقة وفهماً ، وأذكى أهل عصره صناعة وعلماً ، معلم الكيمياء الحكيم بيرون الفرنساوى[٤] » ، وهو « اللوذعى الأديب ، والماهر الطبيب اللبيب ، أحذق أقرانه ، وأنبه إخوانه ، المعلم بيرون الفرنساوى ، الحكيم النبيه الكيماوى ، ذو الذهن الوقاد ، والتعليم الذى كل تلميذ منه استفاد[٤] » ، وهو أيضاً : « الماهر فى جميع الفنون ، ناظر مدرسة الطب البشرى الشهير بيرون[٥] » .

* * *

وبعد فهذا ثالوث عجيب من الرجال ، كلهم عاش فى غير وطنه ، وكلهم وقف حياته وجهوده للعلم والتعليم ؛ فالدكتور « برُّون » فرنسى الأصل ، طبيب ، رحل إلى مصر وخدم نهضتها الحديثة فى عصر محمد على أستاذاً وناظراً لمدرسة الطب ، وشغف حباً بلغة غير لغته ، فتعلمها وحذقها ، وترجم عنها وإليها ؛ والطنطاوى مصرى ، عالم دينى ، تخرج فى الأزهر ، ورحل إلى « الروسيا » ، وعاش وتوفى

---

(١) Lettres du Dr. Perron, pp. 11, 47, 64, 113.

(٢) Op. Cit. PP. 89, 107.

(٣) انظر رحلة دارفور للتونسى ، ص ٥ — ٦ ؛ وعلى مبارك ، الخطط التوفيقية ج ١٧ ، ص ٣٧ .

(٤، ٥) انظر : برون ، الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية ، ٣ أجزاء كبار ، بولاق سنة ١٢٥٨ — ١٢٦٠ ، مقدمتا الجزءين الأول والثانى .

بها ، وتتلمذ عليه نفر كثير من المستشرقين فى مصر وفى الروسيا ، تعلم الفرنسية وأتقنها وشغل منصب الأستاذية فى جامعة «بطرسبرج» ، وله مؤلفات كثيرة تنتظر من يعنى بها .

والتونسى من تونس — أصلا ومولداً — وإن كانت أمه مصرية ، أسرته عشقت الرحلة فعاش هو وأبوه وجده فى مصر و بلاد العرب والسودان أكثر مما عاشوا فى وطنهم الأصلى تونس ؛ وقد شارك التونسى مشاركة فعلية قيمة فى حركة الترجمة والنشر التى ازدهرت فى عصر محمد على باشا .

جمعت بين هذا الثالوث رابطة العلم القوية ، رغم ما كان بين أفراده من اختلاف فى الجنس والموطن واللغة والدين والثقافة ، فأفاد « برُّون » من شيخيه علم المشرق ولغته ، وأفاد الطنطاوى من تلميذه لغة الفرنج ، كما أفاد التونسى منه طريقة الغربيين ومنهجهم فى البحث العلمى .

* * *

جهود هذا الثالوث فى التأليف والترجمة والنشر :

١ — دكتور برُّون :

1— Les Femmes Arabes.

وقد كتب «مول» تقديراً وتقريظاً لهذا الكتاب ، انظر J. Mohl,Vingt Sept ans d'Histoire d'etudes orientales, Paris, 1880, t. II, P. 283.

٢ — ترجمة مختصر سيدى خليل بن إسحاق عن الفقه المالكى فى ثلاثة مجلدات نشره بين سنتى ١٨٤٦ و ١٨٥١ ، (ذكر شيخو ، ج ١ ص ١١٢ أنه انتهى من طبعه سنة ١٨٥٤ ، وعلق عليه تعليقات واسعة) .

3— Voyage au Darfour par le Cheikh Mohammed ibn Omar el Tounsy, Reviseur en chef à l'École de Medeicine du Caire traduit de l'Arabe par Dr. Perron, Directeur de l'Ecole de, Médecine du Caire, Paris, 1855.

وعدد صفحات الكتاب ٤٩٢ من القطع الكبير ، وبه مصور جغرافى ، وكتب مقدمته Jomard (ص ١ — ٧١) ، وقد طبعت هذه المقدمة على حدة تحت عنوان :

Observations sur le voyage au Darfour suivis d'ùn vocabulaire de la langue des habitánts et de Remarques sur le Nil-Blanc supérieur, Paris, 1855.

4— Voyage au Ouaday par Cheikh Mohammed Ebn Omar al Tounsy, traduit de l'Arabe par Dr. Perron, Paris, 1851.

وهو كتاب كبير فى ٧٥٦ صفحة ، ومقدمته فى ٧٥ صفحة ، وبه أيضاً مصور جغرافى وتسع لوحات مصورة ، وكتب مقدمته أيضاً مسيو جومار M. Gomard ، والأخبار الواردة فى هذه الرحلة صحيحة فى جملتها ، وإن كان يعوزها الترتيب والتصنيف العلمى ، وقد اقتنع «برُّون» بصحتها من جماعة من أهل دارفور ووادای كانوا يسكنون فى القاهرة ؛ غير أن « بارت Barth » أخذ عليه أنه لم يورد فى كتابه شيئاً مضبوطاً عن الأحوال الجغرافية والطبوغرافية والأحصائية ، والأرصاد الجوية لهذه البلاد ؛ انظر :

Barth, Reisen und Entdeckungen in Nord und le Centralafika, Berlin, 1859, 3, P. 525.

وفى : Nachtigal, Petermanns Geogr. Mitteil, vol 21, 1875.

Sahara und Sudan, vol. 3. P. 8.

٥ — ترجمة لقصة سيف التيجان سنة ١٨٦٢ .

٦ — ترجمة لكتاب الطب النبوى ؟ (انظر شيخو ، الآداب العربية فى القرن ١٩ ، ج ١ ص ١١١) .

Voyage
au
Dârfour
ou
l'aiguisement de l'esprit.
par le voyage au Soudan et parmi
les arabes du centre de l'Afrique.
par
le cheykh Mohammed
ibn-Omar el-tounsy.
Autographié et publié
par
M. Perron

Paris
chez Benjamin Duprat
libraire de l'Institut de France, de la bibliothèque
nationale, de la société asiatique de Paris, etc
Rue du cloître Saint-Benoît, N° 7
1850
Imprimerie lithographique de Kaeppelin.
17, Quai Voltaire

العنوان الفرنسي لـكتاب « رحلة دارفور » ؛ وهو أيضاً بخط الدكتور
« برون » ؛ كما هو واضح في السطور ١١ — ١٣

٧ — ترجمة لكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصرى فى البيطرة والزرطقة[1] ، لأبى بكر بن بدر وكان بيطاراً فى اصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو فى ٣ مجلدات ، ونشر تحت هذا العنوان :

Abou Bekr ibn Bedr, Le Nâceri. La perfection des deux arts, ou, Traité complet d'hippologie et d'hippiatrie arabes. Traduit de l'arabe par Dr. Perron. 3 vols. Paris 1852 — 1860.

٨ — ترجمة كتاب ميزان الخضرية للشعرانى فى الفقه .

٩ — مقالات مختلفة ، بالفرنسية ، عن بعض مشاهير العرب ، كطرفة[2] ، والمتلمس ، وعنترة ، وأحيحة بن الجلاح ... الخ ... الخ ، وقد اعتمد عند كتابة هذه المقالات على كتاب الأغانى .

١٠ — ترجمة كتاب الأنساب ، وهو جزء من كتاب العقد الفريد ، لابن عبد ربه .

١١ — كتاب الأزهار البديعة فى علم الطبيعة ، وهو مجموعة محاضراته التى ألقاها على طلابه بمدرسة الطب المصرية ، وقد ترجمه إلى العربية بمساعدة يوحنا عنحورى ، أحد مترجمى مدرسة الطب ، وراجعه الشيخ الهراوى ، طبع فى بولاق ١٢٥٤ . ثم طبع طبعة ثانية فى سنة ١٢٦٩ .

١٢ — الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية ، وهى أيضاً مجموعة

(١) قال صاحب كشف الظنون عند كلامه على هذا الكتاب : « البيطرة هى النظر فى أحوال الخيل من جهة الصحة المرض ، والزرطقة هى عبارة عن تربية الخيل فى تعليمها ولوازمها ، هذا وتوجد نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب فى الخزانة التورية بالقاهرة ؛ أنظر : تيمور باشا ، التصوير عند العرب، نشره وعلق عليه الدكتور زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ ص ٣٦ .

(٢) انظر مثلا : Perron. Lettre sur les poètes Tarafah et Al-moutalammis. Journal Asiatique, 3me serie, t. XI, Jan. 1841. pp. 46-69, & mars. 1841, pp 215-247 .

محاضراته فى الكيمياء التى ألقاها على طلابه بمدرسة الطب المصرية ، وتقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة : الأول فى ٦٧٦ صفحة ، والثانى فى ٤٩٤ صفحة ، والثالث فى ٥٥٩ صفحة ، وقد ترجمه بنفسه ، « وكان إذ ذاك ضرب بعطن فى اللغة العربية ، وصار يفهم النكات الأدبية ، فبحث فى القواميس على الألفاظ الطبية والكيماوية ... الخ ، (انظر مقدمة التونسى للجزء الأول من هذا الكتاب) ، وقد قام على تصحيحه ، ومراجعته الشيخان محمد الهراوى ، ومحمد عمر التونسى ، واثنان من تلاميذ « برُّون » ، هما الدكتور حسين غانم الرشيدى ، والشيخ درويش زيدان ، بولاق سنة ١٢٥٨ — ١٢٦٠ .

***

٢ — الشيخ محمد عياد الطنطاوى :

ترك الطنطاوى عند وفاته مكتبة غنية ، فيها ما لا يقل عن ١٥٠ مخطوطة بعضها من تأليفه ، والبعض الآخر من نسخه ، وقد آلت هذه الكتب إلى مكتبة الجامعة فى «بتروغراد» ، وفيما يلى بيان لأهم مؤلفاته :

١ — تاريخ حياته بقلمه ، ولم يُنجز منه إلا قطعة صغيرة ، نشر أصلها العربى ومعه ترجمة ألمانية J. G. Kosegarten فى مجلة : Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, 1850, 43 — 67, 197 — 200.

وقد كتب المستشرق «غوتوالد» تعليقات على هذا الكتاب فى مجلة :

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellshaft, IV, 243 — 248.

٢ — أحسن النخب فى معرفة لسان العرب ، وهو كتاب فى اللغة العامية المصرية ، ألفه وهو فى «روسيا» ، وطبع فى «ليبسك» سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) ،

ويشتمل هذا الـكتاب على ألفاظ وجمل وأمثال ، ورسائل وقصص ، وأغانٍ مصرية عامية ، ومعها ترجمتها إلى الفرنسية ، (وقد ذكرنا فى متن المقال بعض محتويات الـكتاب ، وخاصة شعر الفاتحة ، ورسالة الطنطاوى لصديقه رفاعة الطهطاوى) ، ومن أهم ما ورد فى هذا الـكتاب منظومة أمين أفندى الجندى التى نظمها عند مسير الجيش المصرى لفتح الشام ، يقول تيمور باشا فى مقاله السابق الذكر : «وكنا نسمع فى متناقل الأخبار أن هذا الجيش كان يتغنى بها ، ولم نكن نعلم منها غير قوله فى مطلعها :

هيـــا بنا هيا بنا   للحرب نلقى ضدنا »[1]

	رقم الـكتاب فى مكتبة بتروغراد
٣ — حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهرى[2] على متنه المسمى بالأزهرية فى علم النحو ، كتبها بخط يده سنة ١٢٥٢ هـ .	٨٢٧
٤ — حاشية على متن الزنجانى فى الصرف المشهور بمتن العزىّ كتبها بخط يده سنة ١٢٥٥ هـ .	٨٣٣
٥ — حاشية على كتاب الـكافى فى علمى العروض والقوافى[3] بخط يده سنة ١٢٥٥ هـ .	٧٨٦

(١) انظر هذه المنظومة كاملة فى : داود بركات ، البطل الفاتح إبراهيم باشا ، ص ٢٢٦ ، القاهرة ١٩٣٤ .

(٢) توجد نسخة خطية من هذا الـكتاب فى مكتبة البلديه باسكندرية ، ضمن مجموعة رقم ٤٩٧٨ ج وقد كتب على الصفحة الأولى منها أنها «حاشية على شرح الأزهرية للشيخ خالد مع التعرض لحاشيته المشحونة بغرر الفرائد لشيخنا خاتمة المحققين والنظار ، مولانا الشيخ حسن العطار» وقد ذكر فى نهايتها أنها كتبت بخط «مصطفى الفقى» فى أول رجب سنة ١٢٤٧ .

(٣) توجد نسخة مخطوطة من هذا الـكتاب فى مكتبة البلدية رقم ٥٠٢٠ ج ، كتبها محمد بن سليمان فى سلخ شعبان ١٢٦٥ .

٦ — منتهى الآداب فى الجبر والميراث والحساب ، بخط يده سنة ١٢٤٥ هـ . ٨٢٠

٧ — الحكايات المصرية العامية ، بخط يده ؟ ٧٤٥

٨ — مسودات لتاريخ العرب ، ومعها ترجمة الباب الأول من كتاب « كلستان[1] » لسعدى الشاعر الفارسى وهو بخط يده .

٩ — منظومة فى البيان نظم فيها متن السمرقندية .

١٠ — حاشية على شرح برهان الدين أبى المعالى إبراهيم السقا ، (وهو أحد شيوخه) على منظومة السيد محمد بليحة ، وعنوان الشرح التحفة السنية فى العقائد السنية .

١١ — حاشية على رسالة شيخه إبراهيم البيجورى فى العقائد .

١٢ — شرح على منظومة الشيخ السلمونى ، التزم السجع فى جميع جمله .

١٣ — رسالة عن الأعياد المصرية ، (مخطوط ، مكتبة بتروغراد ، رقم ٨٣٨) .

١٤ — كتاب عن تاريخ روسيا باسم : تحفة الأذكيا فى أخبار بلاد روسيا ، كتبه بخط يده سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠) ، (انظر للتعريف بالكتابين الأخيرين :

Comptes-rendus de l'Académie des Sciences de Russie, 1926, pp. 23 — 26; 1924, pp. 102 sqq; 1927, pp. 181 sqq.)

* * *

٣ — الشيخ محمد عمر التونسى :

١ — رحلة دارفور المساة « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان »

(١) عندى فى مكتبتى ترجمة عربية أخرى لهذا الكتاب ترجمها فى نفس العصر جبرائيل يوسف المخلع كاتب الديوان الخديوى بالاسكندرية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٣ هـ .

كتبها تنفيذاً لإشارة دكتور « برُّون » ، الذى عنى بطبع النص العربى فى باريس سنة ١٨٥٠ ، (انظر الترجمة الفرنسية للرحلة فى مؤلفات دكتور برُّون) .

٢ — رحلة واداى ، كتبها أيضاً تنفيذاً لرغبة دكتور « برُّون » ولم ينشر النص العربى لهذه الرحلة حتى اليوم ؛ بل ولا يعلم مصيره ؛ فقد كان فى حوزة دكتور برُّون ، وإنما نشرت الترجمة الفرنسية فى باريس سنة ١٨٥١ ، (انظر مؤلفات برُّون) .

٣ — الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية ، وهو معجم كبير للألفاظ والمصطلحات الطبية والعلمية المختلفة ، جمعها من الكتب والمعاجم العربية والأفرنجية ، ذكره جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٧٧ — ١٧٨ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٧) ، وقال عنه : « هو معجم للمصطلحات الطبية والأطباء ، وقد أسند لكل مؤلف ما التقطه منه ، فجاء كتاباً فى نحو ٦٠٠ صفحة متوسط الحجم ، وهو من الذخائر النفيسة ، وقد حمل إلى باريس ، وفى المكتبة الخديوية[١] نسخة منقولة بالفوتوغراف عن نسخة باريس ، وقد أقرت نظارة المعارف على طبعها فى جملة كتب إحياء الآداب العربية » ، وقد بدأت فعلا دار الكتب الخديوية بطبع هذا المعجم ، وطبع منه الجزء الأول فى ١٠٠ صفحة ، (مطبعة المقتطف سنة ١٩١٤) ، وأشرف على تصحيحه وطبعه وترجمة ألفاظه إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية الدكتور أحمد عيسى بك ، غير أن الدار لم تنشر منه حتى اليوم إلا هذا الجزء تحت عنوان :

---

(١) توجد من هذا المعجم أربع نسخ فى دار الكتب المصرية أرقامها : ٧٥٧١ و١٧٤٠ و١٦٦٤٤ و١٦٥٠٣ طب ؛ انظر حديثنا مفصلا عنه فى : بحثنا عن تاريخ الترجمة فى مصر محمد على ؛ J. H. Dunne, Printing and Translation, under med Ali, Journal of the Royal Asiatic Society. July 1940. pp. 343—345.

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه
على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد
ما الاسطر من اليسار الى اليمين هكذا
ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبته
وان بقي فردا اثبته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولا وما تحصل من
الثاني تحته وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال
الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رملا ضرب الخط بفول وحمص وهو انه
ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من
الاسما والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط
بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه المام بماهية الرمل في الجملة ولئلا تخلو
هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عـــــالم
وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة المنمقة الجميلة بدار طباعة
السيد كينيلين الفاخرة الكائنة بمدينة پاريز الباهرة وذلك برسم وخط
السيد پيرون بنعمة الله وعون وكمل طبعه على ذمته ونظره وهمته في سلخ
شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله في البدء
والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية امـــــين

الصفحة الأخيرة من النسخة العربية لرحلة دارفور ، وهي « برسم وخط السيد بيرون » ، كما هو واضح في السطرين ١٥ — ١٦

Al-Schoodhoor-Al-Dhahabieh of Muhammad Omar Al-Tounsy, Dictionary of Technical Terms "Ancient and Modern" used in the medical, natural and veterinary sciences, edited and translated into French and English by Dr. Ahmed Issa Bey vol I. Cairo, 1914.

ويوضح السبب الذى دفع التونسى لوضع هذا المعجم ما جاء فى مقدمته ، قال : « لما كان حضرة من نشئت المدرسة على يده ... كلوت بك ... يعلم أن جل غرض الخديوى إظهار المعارف ، وإبراز اللطائف ، وأن المعارف لا تتم الا بجمع كتاب موصوف بما وصفناه من الجمع للألفاظ الطبية وأسماء المعادن والحيوانات ... أحضر معجما فى الألفاظ المذكورة باللغة الفرنسية ، وأمر بترجمته إلى اللغة العربيــة ، ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك على معلميها . . . فترجم كل منهم الجزء الذى أعطيه .... ولما تمت ترجمة الأجزاء ... أمر ناظر المدرسة إذ ذاك الماهر فى الفنون ، المتوغل فى العربية ، المعلم بيرون أن يؤخذ من القاموس كل لفظ دل على مرض أو عرض ، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان ... وقسم أوراقه على المشار إليهم ، وأدخلنى معهم ، فأخذت منه جزء وافراً . . . وكذا أعطى الماهر أخانا العلامة الشيخ سالم عوض المصحح الأول ، وكذا الفاضل الشيخ على العدوى الذى عليــه فى تبييض كل مسودة معول ، فاستخرج الجماعة منه ما أمكنه استخراجه ... ثم خصنى الناظر المذكور باستخراج ما فى القانون من التعاريف ، وما فى تذكرة داود من كل معنى لطيف ، وزدت على ذلك ما فى فقه اللغة ومختصر الصحاح ، وما فى الهروى من التعاريف الصحاح ، وضممت لذلك أسماء الأطباء المشهورين ، وأسماء عقاقير كنت رأيتها فى بلاد السوادين ، ورتبت جميع ذلك على حروف المعجم ليكون أسهل للمراجعة وأقوم ، وسلكت فى ذلك مسلك صاحب المصباح لسهولته على مسلك القاموس والصحاح ، ..... وأغلب

أحوالى فيه أنى أعزى لـكل كتاب ما التقطته من فوائده ، وما استفدته من فرائده ، ولم أقتصر فيـه على الأسماء العربية ، بل توجد فيـه أسماء لاطينية ، وأخرى فرنساوية ، وأخرى فارسـية ..... الخ » [مقدمة الجزء المطبوع ص ب — هـ]

٤ — وأشرف التونسى على طبع ونشر كثير من الـكتب العربية القديمة التى طبعت لأول مرة فى بولاق ، وخاصـة المستطرف للأبشيهى ، ومقامات الحريرى .

٥ — كذلك قام التونسى بتحرير وتصحيح كثير من الـكتب الطبية والعلمية التى ترجمت فى عصر محمد على وأهمها :

ا — الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع تأليف الدكتور «فيجرى بك» وترجمة حسين غانم الرشيدى ، بولاق ١٢٥٧ هـ .

ب — الجواهر السنية فى الأعمال الـكيماوية فى ثلاثة أجزاء تأليف وترجمة الدكتور «برّون» بولاق سنة ١٢٦٠ .

جـ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة ، تأليف « كلوت بك » وترجمة الدكتور محمد الشافعى ، بولاق سنة ١٢٥٨ — ١٢٦٠

د — التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد تأليف الاستاذ« كروولييه» وترجمة الدكتور محمد الشباسى ، بولاق سنة ١٢٦٦ .

هـ — روضة النجاح الـكبرى فى العمليـات الجراحية الصغرى ترجمة الدكتور محمد على البقلى ، بولاق ١٢٥٩ .

و — الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال ، تأليف « كلوت بك » وترجمة الدكتور محمد الشافعى ، بولاق ١٢٦٠ .

جمال الدين الشيال


Bibliotheca Alexandrina
0415723